

## صورة الخيل في شعر البحتري

د. محمد مسعود<sup>1</sup>

### الملخص

الشعر معنى يُبنى بنيةً معقدةً ، وعناصره المكوّنة له عناصر دالة؛ فهي إشارات إلى مضمون معين. والبحث ينطوي على دراسة هذا المكوّن الأساس للصورة عن طريق تحليل البناء الشعري والكشف عن عناصره ، مبيّناً آراء النقاد فيه، وصورة الخيل عند البحتري التي تفاوتت تبعاً للعوامل المؤثرة فيها، وتوّعت بين الصورة الحركية، والسكونية، واللونية التي عكست صورة الواقع من خلال التوازن والتنسيق، وتقنيات الفنّ والجمال، فخرجت في شكلٍ جديد من التصوير الممتع الذي أسهم في الكشف عن الحقيقة وتعميقها، ويصل البحث إلى أنّ البحتري استطاع أن يمزج ويوائم بين الشكل والمضمون لينتج صورة جديدة تضيف على نصّه أناقةً متكاملة، كما استطاع أن يخلّص صورة الخيل من كونها مجرد انطباعٍ حسيّ، ليصنع موقفاً وبناءً شعرياً شكّل نمطاً ميّز وحجز له المنزلة التي يستحقّها بين شعراء عصره.

الكلمات المفتاحية: الخيل - الصورة - البحتري - شعر - الشكل والمضمون.

<sup>1</sup> أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الفرات

# The image of the horse in al-Buhturi poetry

Dr.Mohammad Masoud<sup>1</sup>

## Abstract

Poetry is a meaning that is built with a complex structure, and its constituent elements have significant elements .They are references to a specific content .The research involves studying this basic component of the image by analyzing the poetic structure and revealing its elements, showing the opinions of critics about it, and the image of horses according to Al-Buhturi, which varied according to the factors influencing it, and varied between the dynamic, static, and chromatic image that reflected the image of reality through balance and coordination .Art and beauty techniques and the techniques of art and beauty, so it came out in a new form of fun photography that contributed to revealing and deepening the truth, and the research reaches that Al-Buhturi was able to mix and harmonize form and content to produce a new image that gives his text an integrated elegance, and he was also able to rid the image of horses from being just A sensory impression, to create a poetic stance and structure that formed a mark that distinguished him and secured for him the position he deserved among the poets of his time.

**Key words:** The horse -the image -AL Buhturi – poetry.

---

At alfurat University -Assistant Professor, Department Of Arabic, Faculty of Arts and Humanities <sup>1</sup> .

## المقدمة:

شغلت الصّورة حيّزاً واسعاً من اهتمام الأدباء والنقاد، ودارت حولها دراسات نقدية وبلاغية مستفيضة وواسعة ، ولهذا انبرى النقاد ودارسو الأدب لتحديد ماهيتها، ودورها الوظيفي في العمل الأدبي، وجماليّاته الفنّية .

لقد عالج نقدنا العربي القديم قضية الصّورة الفنّية معالجةً تتناسب مع ظروفه التاريخيّة والحضاريّة، وقدّم لنا عبر القرون المتعدّدة مفاهيمه المتميّزة التي تكشف عن تصوّره لطبيعة الصّورة الفنّية وأهميّتها، وأفاد في تكوين هذه المفاهيم من تحليله البلاغيّ للنصوص الشعريّة والقرآنيّة، كما أفاد من التراث اليونانيّ السّابق عليه<sup>(1)</sup>.

من هنا نرى أنّ لغة القصائد تجعلنا نرى تفاعل جملةٍ من العلاقات، وهذا القول مرّن وعميقٌ لدرجة أنّه يمكن أن يكون حافظاً لنقبَل أيّة نقطة بداية في تحليل البناء الشعريّ، والكشف عن عناصره، وإن سلّمنا بالقول الذي يعني أنّ ميزات المجموع تتجاوز حاصل جمع ميزات العناصر .

أمّا صورة الخيل في شعر البحتريّ فكثيرة بلغت ( 122 ) مئة واثنين وعشرين صورة تبوّأت المرتبة الأولى عدداً في شعره عن الحيوان. ويبدو أن لإعجابه بصورة الخيل أسباباً منها: اشتراكه في معارك على ظهور الخيل في ساحات الحرب. ومنها أنّ الخيول المؤصّلة تنتسب إلى حسان بن حنظلة الطائيّ صاحب الفرس "الضبيب" الذي حمل عليه كسرى أبرويز حينما انهزم من عدوّ بهرام يوم النهروان<sup>2</sup>.

## أهميّة البحث وأهدافه :

لم يحظّ شعر البحتريّ - على ما نعلم- بدراسات وافية ومن هنا ارتأينا أن ندرس في هذا البحث بعض جوانب صورته الشعريّة، ولما كانت هذه الصّور أكبر ممّا يحيط بها هذا البحث، ألزمتنا أنفسنا بدراسة صورة الخيل؛ لظهورها الواسع في شعره، سواءً أكانت صوراً سمعيّةً، أم بصريّةً، أم لونيّةً، أم حركيّة .

<sup>1</sup> . ينظر: الصّورة الفنّية في التراث النّقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور، دارالتّوير للطباعة والنّشر، بيروت، ط2، 1983 . ص.8.

<sup>2</sup> محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهاني، ج 2، ص 282

### الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي عنيت بصورة الخيل - نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر\_ :  
 ( صورة الخيل في شعر أبي تمام والمنتبي - دراسة مقارنة، إعداد زهير حسين شريم رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية) ركزت هذه الدراسة على صورة الخيل عند شاعرين عباسيين مقارنة بينهما من حيث تأثر كل منهما ببيئته، ومن حيث الصورة الفنية والبيانية والاستعارات... ودراسة أخرى بعنوان ( صورة الخيل في شعر أبي دواد الإيادي - دراسة موضوعية فنية ، سوسن محمد بلتاجي) تناولت الدراسة صورة الخيل عند أحد شعراء العصر الجاهلي المكثرين من وصف الخيل، وركز على الصورة الفنية والبيانية وما فيها من تشبيه واستعارة ومجاز... وخلص البحث إلى أن الشاعر مرتبط ببيئته ومظاهرها، ووظفها في جنبات الصورة، وثالثة بعنوان(صورة الخيل في الشعر الجاهلي ديوان عنتر بن شداد، إعداد نور الدين عراميس)

### منهجية البحث:

لقد وضعنا الدراسة الفنية لصورة الخيل في شعر البحتري أمام منهجين رأينا أنّهما سبيلنا في هذه الدراسة وهما:

المنهج الوصفي: ويتمثل في استقراء هذه الصور في نماذج مختارة من شعره، ووصفها والوقوف عندها، وبيان أدواتها وأساليبها.

والمنهج التحليلي الذي مكّنا من تفكيك هذه الصور، وبيان تقنياتها الفنية وصولاً إلى تحديد خيوط النسيج الفني في شعره ، ثم استجلاء اللمسات الجمالية ، وبيان وظيفتها الأدائية.

### صفات الخيل الأصل:

اعتدّ البحرّيّ بخيل مشهورة لبعض آله من طيء وقد استهدى هذا الصنف من الخيل من ممدوحه من آل طيء وهو أبو نهشل الطائيّ الذي يلتقيه في أورمة ليقا تل به عدوّه، فنلمح مشهداً حركياً يجمع فيه صفات الخيل الأصيل ويقول الأمديّ عن البحرّيّ ومكانته في وصف الخيل: " ولو تتبعت أقاويل الشعراء في وصف الخيل علمت أنّه (البحرّي) وإن جمع فأوعى، وحشر فنادى "1، فهو يعمل على نقل المشاهد نقلاً نسخياً تاماً، متوصلاً إليه بكل ما أوتي من براعة التصوير وروعة التعبير، ويصوّر ذلك باشتداد اشتعال النار في نبات العرفج\* عند هبوب الرياح الجنوبية، وهو مع ذلك خفيف الحركة لا يثير الغبار، وقد شكل اللونان الأسود والأحمر معالم هذه الصورة الحركيّة، فلون الحصان الأدهم منحه معاني القوّة والصلابة، ثم يأتي اللون الأحمر في الكلمات (ضرم، حريق) ليؤكد على قوّة تحمله، وسرعته ذلك أنّ اللون الأحمر يحمل دلالات الشدّة والقوّة<sup>2</sup>؛ إذ يقول 3: [من الكامل]

فأعن على غزو العدو بمنطو	أخشاؤه طي الكتاب المُنذج
حرق* يتيه على أبيه ويدعي	عصبيّة لبني الضبيب* و أعوج*
إما بأشقر ساطع أغشى الوغى	منه يمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طأت أعطافه	بدم فما تلقاه غير مضج
أو أدهم صافي السواد كأنّته	تحت الكميّ مظهر بيرندج*
ضرم يهيج السوط من شؤبويه*	هيج الجنائب من حريق العرفج

ف نجد ((الشاعر يوحى إلينا بالحركة السريعة من خلال صور الحريق والضرام والهباج. لقد جعل فرسه جمرة يزيد السوط من تأججها. والصورة بألفاظها جامدة، أما الحركة فإننا نفهمها من معنى الصورة، مما توحى علاقات الاشتعال واقترانها بصورة الفرس))<sup>4</sup>، وتوضح الثقافة الفارسيّة فيما سبق في كلمة "بـيرندج التي تعني جلدًا أسود"، وقد جاء بهذه اللفظة في تشبيهه للحصان العربي، وهكذا جاء اللون الأسود ليعكس ثقافة البحرّي، كما يستخدم لفظة فارسيّة في وصف نوع من أنواع الخيل، ويبدو أنّ هذا الصنف من

1 عبد القاهر الجرجاني، إعجاز القرآن ص 232.

2 ينظر: اللون ودلالاته في شعر البحرّي، نصرّة محمد محمود شحادة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013، ص 158.

3 ديوان البحرّي: تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط 3، لا تا، ص 402-404.

\*نبات العرفج: نبات شجيري معمر يكثر في السهول ذات الرمل والحصي/ \*حرق: الكريم/ \*الشؤبوب: شدة الاندفاع/ أعوج: فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات وليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلًا منها / \*الضببيب: فرس حسان بن حنظلة الطائي وهو الذي كان قد حمل عليه (كسرى أبرويز) حين انهزم من (بهرام جوبين) يوم النهروان.

4 الصوّة الفنيّة في شعر الطائيّين بين الانفعال والحس، الدكتور وحيد صبحي كناية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م. ص

الخيول محبَّب إلى الشاعر لأصالته وجودته، فكما يستهدي الجيّد منها، يُهدي الأعوج منها إلى عبد الرحمن بن خاقان<sup>1</sup> خاصة، لتكون سنّة ماثورةً لمن بعده في إهدائه هذا<sup>2</sup>: [ من الكامل]

ماذا ترى في مُدْمَجِ عَيْلِ الشَّوَى      مِنْ نَسْلِ أَعْوَجِ كَالشَّهَابِ اللَّائِحِ3  
فَتَكُونَ أَوَّلَ سُنَّةٍ مَاثُورَةٍ      أَنْ يَقْبَلَ المَمْدُوحُ رِفْدَ المَادِحِ

في تقديمه خيلاً هدية لممدوحه كسرالمعتاد، وجاء بما لم يتوقعه الممدوح من عطاء خارج حدود الإنتاج الأدبي، وأدهل المتلقي في صدمة سرعان ما يستفيق منها ليبحث عن العلل وراء كسر أفق التوقع بعطائه المغاير لممدوحه، ربما يكون تعبيراً غير مباشر من قبل الشاعر، ومدحاً بخلة جديدة لمحة يبين فيه فروسية ممدوحه الذي حصل على الخيل باستحقاق.

### أعمار الخيول:

وتستوقف البحتريّ أعمارُ الخيول، فيوظّفها بدلالاتٍ شتىّ وصور مختلفة، منها الجذع الذي يكون ملائماً للإهداء ، وإن تحررنا من النظرة السطحية ، وتجاوزنا ما يذكره من صفات الخيل وصغر سنّها، نجد أن للبحتري غايات لاهتمامه بهذه الخصلة بالذات، وربما من غاياته بيان اهتمامهم بالخيول، ورعايتهم لها، وعنايتهم بتكاثرها، فهم فرسان لايهابون المعارك، متأهين في كل الأوقات لخوضها، لذا من البدهي أن تكون خيولهم على أهبة الاستعداد وفي تزايد دائم.4: [ من الكامل]

لا تَرِبُهُ الجَدْعُ الَّذِي يَعتَاقُهُ      وَهَنْ الكَلَالِ وَليسَ كُلالِ القَارِحِ\*

ومنها القارح الذي يعادل حكمة المرثي وصيف، أحد قادة المعتزّ العبّاسيّ الذي خبر شؤون الحرب، وقاتل بخبرته أعداءه حتى قُتل، فانتزع من الحصان قراحته ليعادل به خبرة مرثيته في ميدان القتال5: [ من الطويل]

1 عبد الله بن محمد بن عبيدالله بن يحيى ابن خاقان، أبو القاسم: وزير، من بيت وزارة. (000 - 314 هـ = 926 - 000 م) كان له علم بالأدب، وجود. استوزره المقتدر العبّاسي سنة 312 هـ واستمر نحو 18 شهرا، وقبض عليه المقتدر وصادر أملاكه. ثم أطلقه فاعتلّ ومات. (معجم الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002 م ج 4، ص 119).

<sup>2</sup> ديوان البحتري ، ص 469.

<sup>3</sup> عيل الشّوى: غليظ القوائم (لسان العرب، عيل).

<sup>4</sup> ديوان البحتري، ص 469.

<sup>5</sup> ديوان البحتري ، ص 448.

إذا ما جزوا في حلبة الرأي برزت تجاريبُ معروفٍ له السبقُ قارج

هناك علاقة تكامل وائتلاف بين الخيل وفارسها، كل منهما متمم للآخر، مندغم معه، في الحركات والسكنات والصفات، في الاندفاع والعنفوان والحماس.

ويوظف الفرس اليعسوب\* في رحلاته إلى بلاد الشام، وتعادل سرعته وطوله وميعة جريه وراحته النفسية في تحقيق مبتغاه، فهي هو يوظف بعض أوصافها الجسدية منها: الجرد والقب\*، في معرض سرعتها وطولها كاليعسوب لتكون لذته في ركوبها1: [من الخفيف]

لا أزورُ الشَّامَ إلا رَقِيبٌ لي على الخيلِ أو عَلَيَّ رَقِيبٌ  
يُصِدِّيءُ الدِرْعُ بُرْدَتِي وَبُسْتَا ني وراحي ذو الميعة اليعسوبُ

إن ذكر التفاصيل دليل على الاستقرار النفسي والهدوء الداخلي، وهذا الهدوء والاستقرار نجده عند الشاعر حين فصل في توصيف حالته أثناء الرحلة، درعه التي يكاد لا يخلعها من كثرة خوضه للمعارك وتأهبه لأي طارئ، ذكر أوصاف خيله الرشيق ذات السرعة الخاطفة، قد اتحد فارسها معها اتحاداً جعله يحظى بهذا الاستقرار والسلام النفسي، لما لها من أثر عظيم في نفسه.

هذا وفي معرض فخره بنسبه يوظف أنواعاً من الخيل عرفها آله من قوم طيء منها القبّ والقود الغمر 2: [ من الخفيف]

عبدُ شمسٍ شمسٍ العريب أبونا مَلِكُ النَّاسِ واصطفاهم عبيدا  
وطيء السهل والحزونة بالأب طال شعثاً، والخيل قباً\* وقوداً\*

ويبدو أن للقود - وهي الخيل المطيعة- دوراً في تجاوز الصعاب وتذليلها، فبها تحقق الهدف والمرام، يقول من 3: [من الخفيف]

1 ديوان البحتري ، ص 356.

2 المصدر السابق ، ص 595.

\* اليعسوب: فرس سريع وطويل/

3 ديوان البحتري: ص634

لستُ بالواهنِ المقيمِ ولا القا      وإذا  
استصعبتُ مقادهُ أمرٍ      سَهَلْتُهَا أَيْدِي المَهَارِي\* القودِ  
حاملاتٍ وفدَ الثَّنَاءِ إِلَى أبِ      لَجْ\* صَبَّ إِلَى ثَنَاءِ الوفودِ

تتوسع دلالة الخيل لتصبح سندا يُتَكَيُّ عليها، بها تظفر الجيوش بالنصر، ولها يقف المجد والشموخ تهيئاً، كيف لا وهي التي تُقَدِّمُ فارسها إلى ميدان الفخر والاعتزاز؛ لما حَقَّقَهُ من سحق وفتك بالأعداء.

كما يوظَّف من كريم الخيل الطَّرف في مدحه ذا الأرومة العتيقة فيلتي الخيل الممدوح بأن يقول 1: [ من الخفيف]

يَهَبُ الأَغْيَدَ المُهَفَّهَفَ كَالطَّا      ووسِ حُسْنًا وَالطَّرْفَ\* كَالسَّوْدَنِيْقِ\*  
يَا أَبَا نَهْشَلٍ إِذَا مَا دَعَا الظَّم      أَنْ مِنْ كُرْبَةٍ دُعَاءَ العَرِيْقِ  
أَمَلِي فِي الغَلَامِ كَانَ غَلَامًا      فَهو كَهْلٌ لِلْمَطْلِ والتَّعْوِيْقِ  
وَالجَوَادُ العَتِيْقُ حَاجَزْتَنِي فِي      هـ لِأَ عِلَّةِ بوعدِ عَتِيْقِ

ويوظَّف البحتريَّ الخيلَ في واجب الغارات قتالاً في مقانب أولاً، ويوظَّفها للسباق حلتب ثانياً. أما صورها في الغارات مقانب فتأتت في معرض هجائه صاعد بن مَخْلَدٍ إذ انقلبت بقيادته صورة مجدهم الهابط، فاستغاث للقنا والمقانب مما وصل حالهما بقيادة مهجوه صاعد الهابط، يقول 2: [ من الطويل]

فمَلَكَ دَهْرُ السَّوِّءِ صَاعِدًا مَجْدِهِم      يَدِي هَابِطٍ، يَا لَلْقَنَا وَالْمَقَانِبِ\*

وتختلفُ صورةُ الجيادِ المقانِبِ في حروبها ضدَّ الروم، بقيادة أبي سعد الثَّغْرِي إذ تحمل كل أشعث، دارع وتواصل ليلها بنهارها دونما كلل، لتحقق هدفها إنه العنصر الإنساني الذي يغيّر سير المعركة 3: [ من الكامل]

1 المصدر السابق، ج3، ص 1488.

\* القب: ربيعة الخصر/ \* القود: جمع قوداء وهي طويلة الأعناق/ \* الأبلج: المشرق الوضاح/ \* المهاري: جمع مهريّة، وهي الناقة نسبة إلى بني مهرة/ \* الطرف: الكريم من الخيل / \* السوذنيق: الصقر أو الشاهين/

2 ديوان البحتري، ص 338

3 ديوان البحتري، ص 11.

بالخيل تحمل كل أشعث\* دارع وثواصل الإدلاج\* بالإسراء\*

لا شك أننا أمام نتيجتين متضادتين، وتصورين متباينين للأثار والنتائج التي تخلفها جماعات الخيول المحتشدة لخوض المعارك، فهي عندما تكون تحت قيادة رجل قوي شجاع يحسن إدارة المعارك والأزمات لا بُد لها من الانتصار، أما عندما يقودها رجل على النقيض تماماً، ستكون الهزيمة هي المآل، لذا لمحنا صرخة استجداء يائسة من الشاعر عله يستنهض همم الجياد، وتتبدل الأدوار وتقود هي فرسانها، وتوجههم دافعة إياهم ليقتصوا الظفر من براثن الأعداء، لكن هيهات والقائد صاعد الهابط.

وتتنوع مهمة خيول الحرب منها: أن تشن غاراتها البرية البحرية حتى تصل إلى الخليج\* بقيادة أبي سعيد الثعري، فتحيض لهولها إمبراطورة الروم آنذاك، إنها الصورة النفسية الدموية

النازفة رعباً من نتائج المعركة 1: [ من الخفيف]

حين حاضت من خوفه ربة الرو  
م صباحاً وراسلته مساء  
ر فلولا الخليج جزن ضحاء  
وصدور الجياد في جانب البحر

وفي مشهد آخر يلتقط البحتري صورة أخرى لمهمة الخيول ولكن، في مكان آخر في القسطنطينية حيث يأسر الغواني الروميات ويزور قبر امرئ القيس الذي رقد فيها، ويعود منتصراً محملاً بالسبايا الأنسات الحسان 2:

وأزرت الخيول قبر امرئ القيس  
س سرعاً فعذن منه بطاء  
وجلبت الحسان حواً وحوراً  
آنسات حتى أغزت النساء

هذه الخيول التي حمل عليها السبايا ذوات الجمال والحسن، وذهب بهن إلى قبر امرئ القيس، لم كانت صورة الخيول سريعة لزيارة قبره، بطيئة عند رحيلها عن أيقونة الشعر الجاهلي الذي (يغتدي بمنجرد قيد الأوابد هيكلاً)؟ الشاعر المفتون بالخيول، العاشق لها، الفارس المغامر. إن اجتماع الغواني والخيول ومرقد امرئ القيس استحضار ذكي من قبل البحتري؛ فقد سافر بالمتلقي إلى عصور سلفت كان فيها الخيل جزء لا يتجزأ من كيان وقلب فارسها.

1 ديوان البحتري، ص 16.

\*المقانب جماعات من الخيل تجتمع للغارة/الأشعث: المغبر الأشعر، وهذا كناية عن رجال مدرعين شعث غبار الحروب على رؤوسهم\*/ الإدلاج: السير في أول الليل\*/ الإسراء: السير عامة الليل\*/ خليج البوسفور.

2 المصدر السابق، ص 18.

وتتنوع مهمة خيول الحرب فليست مقتصرة على شن حروبها في ساحات الحرب برّاً وحتى شواطئ خليج البوسفور بحراً فحسب، بل إن لديها من الجاهزية القتالية ما يهيئها للقتال الليلي الذي يحتاج إلى دقة في التدريب، وصبر متميز على مقارعة الأهوال، وصعوبات القتال فيه كما يحتاج إلى همم رجال من نوع خاص، وقائد مدرب شأن أبي سعيد الثغري<sup>1</sup>: [من الكامل]

يستقصِرُ الليلَ التّمَامَ إذا انتحى      بالخيلِ ناحيةَ العدوِّ الأبعد

إن صورة الخيل كما نرى تحتلج إلى قادة من ذوي الهمم العالية، ممن يتحملون شظف الحرب، يشنون على خصومهم حرباً ينتصرون فيها شأن أبي سعيد الثغري القائد على تحويل المعركة إلى نصر، إنه يدير المعركة بخبرته وشجاعته، ويعبئ جيشه كتائب تندفع الخيول أمامها في صورتها الحركية فتثير النقع في وجوه الكتائب، ووجوهها ساهمة تنذر بالويل، وتحرق الخصم تحريقاً كأنما غدوة تئين اتجه من الشرق فبت حريقاً في أقاصي الغرب. إنها رصد لمحور حركات أبي سعيد العسكرية الذي خلع قلوب خصومه<sup>2</sup>: [من الطويل]

أما وُجوهِ الخيلِ وهي سَواهِمٌ      تُهلِهَلُ نَقَعاً في وُجوهِ الكَتائبِ  
وَعَدْوَةٌ تَئِينُ المَشَارِقِ إذْ غَدَا      فَبَتَّ حَرِيقاً في أَقاصي المَغَارِبِ

إن الواجبات المنوطة بحرب الخيول ليست مقتصرة على القتال خارج حدود الدولة العباسية فحسب، ولكنها منوطة بقمع الفتن الداخلية، وبقيادة أبي سعيد الثغري، إنها الحرب النفسية التي يتركها ممدوحه في نفوس المتمردين ويقمعها بخيله غاضباً<sup>3</sup>:

وَلَوْ دَاَسَكُم بِالخَيْلِ دَوَسَةً مُغَضَّبِ      لَطَرْتُم غُبَاراً فَوْقَ حُرْسِ الكَتائبِ

نلمس جنوحاً للمبالغة من قبل الشاعر لإرضاء ممدوحه وتعزيز فكرة قوته وسطوته، ليس على أعدائه فقط بل على رعيته المتمردين العاصين له، هنا تحولت الفرس لأداة جريمة ترتكب بحق الرعية، بعد أن كانت سبباً لنصرتهم على أعداء دينهم، ربما يحس المتلقي بهذا الجانب المظلم المستتر خلف ما يدعى بمدح

<sup>1</sup> ديوان البحرني، شرح: دكتور يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية - ط 2 - بيروت- لبنان- 2017، ص 57.

<sup>2</sup> ديوان البحرني، ص 77.

<sup>3</sup> ديوان البحرني، ص 182.

وتعظيم للممدوح " فالنص لا يحتوي على معنى منجز وإنما على خامة قابلة للإنجاز عبر رؤية القارئ وأدواته وخبرته، تتشكل تشكيلات متعددة بتعدد القراء"<sup>1</sup>

وفي مشهدٍ حربيٍّ يشيد بقوةِ الثَّائرينَ على المعتزِّ ( 253هـ) وبسلاحهم وخيولهم، لكنهم أمام القائد "مفلح" يهزمون على قوةِ سلاحهم وكثرتهم كراديس مفردةً ومزدوجةً، ولكنها تندحر من ساحة المعركة سراعاً، ممَّا يشي بقوةِ القائد وحكته الحربيَّة لأَنَّ المعركةَ لم تكن سهلةً ، والخصمُ المنهزم لا تتقصه العدة الحربيَّة، ولا الكراديس المدججةً بالسلاح ولا الخيول، ولا

تتقصه حصونٌ تقيه، ولا سواد الليل الذي يتغشاه 2: [من الطويل]

ولم تُحرز الملعونَ قلعتُهُ التي      رأى أنّها جرّزٌ على نُوبِ الدَّهرِ  
مضى في سوادِ اللَّيلِ والخيْلُ خلفه      كراديسٌ من شَفْعٍ مُغَدٍِّ ومن وُثُرِ

وينقلنا إلى مشهدٍ حربيٍّ آخرَ يصوّر الفارس في تعبئةٍ قتاليَّةٍ كاملة فارساً يمتطي صهوة فرسه مستخدماً حلق الحديد درعاً يدفع عنه أذى عدوه<sup>3</sup>: [ من الخفيف]

وعلى خيلِهِ أسودٌ عليها      حَلَقٌ يَدْرُ السِّلاحِ مُدارُهُ

تطويع لمفردات اللغة ، استثمار لصفات الأسد، اسقاط الصور المُتخيَّلة على الساحة الشعرية، ترك القارئ يتخيل ويستنتج ويحلل باحثاً عن العلل، مستخدماً الشك للوصول إلى اليقين، كل هذا نجح البحترى بفعله عند ربطه الفارس بالأسد، والأسد بالخيْل.

ويلتقط البحترى صورةً أخرى لحياد معبأة تمتطيها فوارسها، يسابقون البرق إلى المجد، في صورة تتراسل الحواس فيها . فتستدعي الصّورة الحركيّة اللونيّة بغية تحقيق ماربهم لإدراك العلا : [ من الخفيف]

فإذا سابَقَ الجيادَ إلى المجدِ      فما البرقُ خلفه بسريع 4

هنا نلمس تقابلاً بين الفرس وفارسها، تقابل على وجه التحدي فعلى الرغم من أنه يمتطيها وهي التي تجري به وتوصله وتساعد للظفر بمراده أيّاً كان ، إلا أن ذلك لم يكفه ، فطمح إلى مثالية أخرى وهي أن

1 جدلية الأنا والآخر في شعر أبي الطيب المتنبي مغامرة في القراءة والتأويل، حسين الجداونه، طبعة الكترونية، الأردن، ط1، 2022، ص 11.

2 نفسه ، ص 1006.

3 نفسه، ص 908.

4 ديوان البحترى، ص 1281.

يسبق فرسه التي تحمله إلى ما يبغي، هذه الرغبة تتضوي تحت الجدلية التي لا طائل منها سوى تعبير عن سرعة الفارس في ضرب من المبالغة المفرطة لإرضاء غروره.

لقد اهتمّ البحترى بالفارس، والتقط له صوراً شتى في ميدان القتال برّه وبحره داخل الحدود وخارجها، مقاتلاً روماً أو ثواراً، ولكنّه لم يتوقف عند رسم صورته الخارجية الشكلية فحسب، بل تعمق فيه فدقق في قلبه قبل أن يحدق في درعه وسلاحه، فانبرى يهون من قيمة الخصم على كثرة عدته وخيوله لأنّ الفارس بقلبه أولاً، قبل أن يكون بسلاحه، فنفت في روع ممدوحه روحاً معنوياً يبشّره بالنصر 1: [ من الخفيف ]

لاتهولنك السوابغ والبيضُ      فمن تحتها قلوبُ العذاري  
وإذا ما لقوك بالخيلِ فاعلمُ      أنّها عدةٌ ليومِ الفــــرارِ

عندما كانت الخيل تحت طوع ممدوحه كانت خارقة، سريعة، جبارة، تظفر بالنصر لممتطيها، لكن سرعان ما تتغير صور الخيل وتكون أداة للهروب لا للنصر عندما تكون في معرض الحديث عن أعداء الممدوح، وهذا – إذا أردنا إنصاف الخيل \_ خيانة للخيل وتشويهه وتلاعب بصفتها وطبعها وقدراتها، فقد غدت أداة يستخدمها الشاعر لتحقيق غرضه والوصول إلى قلب ممدوحه، غير مُنتبه لآزدواجية صورته التي يبثها.

إنّ عزيمة الرجال هي التي تشخص يوم القتال و تطيح بالروم على عجل، فينصاع مذهباً لما يؤمر بتفيذه، فيسابق ظلّه ولا يدركه. إنّها صورة حركية مذعورة تشخص عزيمة المعتز وهي تلقى عظيم الروم، إنّها العزيمة التي تبتعث كتائب على عجل لتسأله بقوة سلاحها أين وجهته؟ وما هي إلا لحظات حتى تطاوحته على عجل، فاندعر يسابق ظلّه والخيل تطارده سراعاً تهكّه في صورة نفسية حركية لمسية مرتعبة 2: [ من مجزوء الكامل ]

لقيتُ عظيمَ الرومِ منُ      ك عزيمةً فانفضّ جندهُ  
وتطاوحتُ كتائبُ      عُجُلٌ تسائلُ أين قصدهُ؟  
فانصاعُ يطلُبُ ظلّه      والخيلُ غاديةٌ تكُـدُهُ

ولم يكتفِ البحترى بتصوير الفرسان فحسب، وإنما امتدت مشاهدُ صورهِ لتلتقط صورةَ الخيل وهي متحركةٌ تثيرُ النَّعَجَ بسنابكها على موجات متتابعات، ويمتطيها شعُ الرّجال تنطلق باتجاه هدفها سراعاً والغبار يرتفع من خلفها تباعاً، إنّها كما ترى الصّورة الحركية اللمسية الصوتية اللونية المتراسلة في هذه اللوحة الفنية « فالشعر كأيّ خلق آخر نسج خيوطه الإحساس والعاطفة والفكرة، وعلى الرّغم من أنّ الخيط

<sup>1</sup> الديوان، ص 1094

<sup>2</sup> ديوان البحترى، ص. 615.

الأول أو العنصر الأول هو أهم هذه الخيوط أو العناصر، إلا أن أي تحليل للفن يجب أن يقوم في ضوء العلاقات والارتباطات المتداخلة الملتحمة بين الخيوط المشكّلة للتسيح، والتي لا يمكن لها أن توجد منفصلة بعضها عن بعض، فلا يمكن لها أن تدرس بصورة إعلائية منفصلة»<sup>1</sup>، فيقول<sup>2</sup>: [من الوافر]

جَدِيرٌ أَنْ يَلْفَ الْخَيْلِ شُعْثًا      بَخَيْلٍ خَلَفَهَا زَهْجٌ يَثُورُ

هذا إذا كانت منطلقاً باتجاه هدفها، أما صورتها بفارسها في لحظة قتال، وهي بين طعان وضراب، فلونية (تحت مثار النقع) و حركية تنهض بفارسها المدرع فيضرب خصمه فيدميه بنشوة غامرة وبتشف ملتذ "هذائك" في صورة لمسية دموية حادة، لا تنفذ الطعان من عدوهم وخيولهم، مما يشي بصورة حركية تشف عن طعنات جارحات على أنها وخزات مسرعات وبتشف تام<sup>3</sup>: [من الخفيف]

وَرَأَيْتَ الْجِيَادَ تَحْتَ مُثَارِ النَّقْ      ع\* يَنْهَضْنَ بِالْفَوَارِسِ نَهْضًا  
غَشِي الدارِعينَ ضَرْباً هَذَاذِي      ك\* وَطَعْنًا يُورَعُ\* الْخَيْلَ وَخَصًّا\*

ويرصد صورة الخيل حيناً وهي ضامرة هزيلة، فهي الأقوى والأسرع بين الخيول ، مما جعلها مفخرة العرب ، فاستعان بها الشاعر ليعبر عن نفسه أو عن ممدوحه ، فهو لا يصطحب في سفره أو حربه إلا الضامرة من الخيل، فهي خليلته ، يخيف بها عدوه ، ويطاردهم بها ، فيفرون دفاعاً عن أنفسهم ؛ لأنهم يرون الموت قادماً من خلالها تكرر على أعدائها في صورة حركية مسرعة<sup>4</sup>: [من السريع]

ثاني وجوه الخيل مقورة      في الكرّ حتى تستقل الصريع

كما يرصد صورة الخيل الجسدية - راکضة كوكبة إثر كوكبة - سوداء اللون حقودة في صورة مركبة لونية ونفسية تندغم مع نفسية فارسها وتعادله<sup>5</sup>: [من البسيط]

لَقَدْ بَعَثْتُ عِتَاقَ الْخَيْلِ سَارِيَةً      مِثْلَ الْقَطَا الْجُونِ يَتَّبَعْنَ الْقَطَا الْجُونَا

وها هو البحرّي يزجر خيله ويحثها على السرعة حتى تسبق كل الخيول فإنهما صنوان في القوة والسرعة<sup>6</sup>: [من البسيط]

1 - مقدّمة لدراسة الصورة الفنّية، د. نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق-1982، ص75.

<sup>2</sup> ديوان البحرّي، ص 915.

<sup>3</sup> نفسه، ص 1215.

<sup>4</sup> ديوان البحرّي، ص 1259

<sup>5</sup> نفسه، ص 2201

<sup>6</sup> نفسه/ ص 1381

أزاجرُ أنا جردَ الخيلِ أجشُمُها سيراً إلى الشّامِ إغذاذاً و إيجافا

وصورة الفرس معادلاً لممدوحه الفتح بن خاقان الذي سقط عن جسر فأصابه ما يصيب

الفرس من ظلع\* وعاهة بجامع الأسي لما ألمّ بعزيز 1: [من الطويل]

مُغامِسُ حَرَبٍ ما تَزالُ جِياذُهُ مُطَلَحَةٌ مِنْها حَسِيرٌ وَظالِمُ

ويستوقف الشاعر "البرقع" الكساء من دقاق التراب يغطي وجه الفرس في ساحة القتال

ويزهو على الفرس 2: [من الطويل]

وَيَوْمٍ مِنْ هَيْجاءٍ زادَ سَعيرُها تَساقى بِهٍ أَبطالُها السُّمَّ مَنْقَعاً

شَهَدَتْ عَلَى عَبلِ الجُزارةِ سابِحٍ كَساهُ دُقاقُ التُّربِ جُلاً وَبُرُقَعاً

هكذا هي الخيول تشاطر أصحابها مصيرهم، تقتحم معهم ساحات الموت كالبرق الخاطف ، لا يهمها قرع السوف ولا الدماء المتناثرة ولا أصوات الجرحى ومشاهد القتلى، بل تبقى تنقض على الأعداء حتى توصل صاحبها لمراده ، وذلك بعد أن يكتسي كل جزء من جسدها بالتعب والوهن والألم والغبار المثار بجحافل الطرفين، هذا إن لم تكن قد أصيبت أيضاً وصبرت على جرحها، إنها الصاحب الوفي والسلاح الأقوى لغارسها، وإن اجتمع الخيل مع فارس ذي قلب قوي شجاع لا يهاب الموت ستكون النتيجة خوف الأعداء واندحارهم حتى قبل خوض المعركة.

فها هو البحتري يتحدى خصمه بخيوله وأبطاله في صورة نفسية واثقة من النصر يرسم ملامحها الاتحاد

بين الفارس والفرس الذي يضاعف القوة ويزيد الأعداء خشيةً واندحاراً 3: [من السريع]

تَوَعِدُنِي شَيبانُ بَغياً وَمَا تَعَلَّمُ مَن تَوَعِدُ شَيبانُ

لَو أَبْصَرُوا حَيلِي وَأَبطالُها وَبَعَدَها رَجُلٌ وَفُرسانُ

لَعائِنوا المَوْتَ أو اسْتَأَسَروا بِالضُّغَرِ وَالذَّلَّةِ أو دانوا

ومن البدهي أن يضاهاى بقوة الخصم وخيوله في ساح الوغى ليسجل نتائج معركة أسير فيها ممدوحه

إبراهيم بن المدبر، ولكن بعد أن جرح في وجهه لن يصمد في الحرب وتأبى نفسه العزيمة الهرب ، فهو

أسمى من أن يُعيّر بجبنه وهربه من المعرك 4: [من الكامل]

\*النقع: الغبار/ \*يورع: يرد/ \*الوخض: الطعنة غير النافذة/ \* هذانيك: تقال للمخاطب إذا أردت أن يكف عن الشيء

<sup>1</sup> ديوان البحتري، ص 1304. \* ظلع: عرج.

<sup>2</sup> ديوان البحتري، 1333.

<sup>3</sup> ديوان البحتري ، 2391.

<sup>4</sup> نفسه، 291.

وَأَبَيْتَ إِعْطَاءَ الدَّيَّةِ دَوْنَهُمْ  
وَمُبِينَةَ شَهْرَ الْمُنَازِلِ وَسَمَهَا  
كَانَتْ بَوَجْهِكَ دُونَ عَرَضِكَ إِذْ رَأَوْا  
إِنَّ الْأَبِيَّ لِأَنَّ يُعَيَّرَ أَبِ  
وَالْخَيْلِ تَكْبُو فِي الْعَجَاجِ الْكَابِي  
أَنَّ الْوُجُوهَ تُصَانُ بِالْأَحْسَابِ

### جمال الخيول وألوانها:

إنَّ تعلقَ البحتريِّ بالخيَلِ تعلقٌ لافتٌ ذلك أنه يحب فيها سماتٍ تعكس صورته النفسية وتجلي رغباته ونزعاته إليها، يحبها ذات عرف أسود وحافر فيروزجي فاسمعه يستهديها : من الكامل[1]

أوفى بعرفٍ أسودٍ متغريبٍ  
أو أبلقٍ يلقي الجيادَ إذا بدا  
جذلان تحسده الجيادُ إذا مشى  
فيما يليه وحافرٍ فيروزجي  
من كلِّ لونٍ معجبٍ بنموذجٍ  
عنقاً بأحسن حلّةٍ لم تُنسجِ

إنَّ تحديدَ ألوانِ الخيولِ المحببةِ إليه عند استهدائه ليدلّلَ على خبرةٍ فيها، ويعادل انعكاسه النفسيّ، فما هو يستهدي من الخيولِ الفرسَ الأبلقَ مع أن هذا الصنّف من الخيولِ ليس من سوابقها على ما يذكره ابن سلام<sup>2</sup> ولكنه مرغوب البحتري و كما أبرزته صورته النفسية في المشهد السابق. وتعلقُ البحتريُّ بالخيَلِ تعلقٌ قديمٌ تراثي، فما هو يردُّ الفضلَ لممدوحه من آل فارس الذي جلى جدّه أنوشروان الدّلّ عن سيفِ بن ذي يزن الجيميريّ اليمينيّ من أجداد الشاعر<sup>3</sup>: [من البسيط]4

أيّامَ جلى أنوشروانُ جدُّكم  
إذ لا تزال له خيلٌ مدافعةٌ  
غَيَابَةَ الدُّلِّ عَنْ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ  
بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِنْ صَنْعَاءَ أَوْ عَدْنَ

إن الخيل عنصر أساسي في المعارك، هي سيفٌ في يمين فارسها، تشاطره الكر والفر والطعن والاقترام والإصابات، وعليه ينسب إليها الفضل في تحقيق النصر مناصفة مع فارسها.

ونراه إتماماً لصورة الخيل يرسم أبعاد المكان الذي تجري الحرب فيه، حيثُ ينتصرُ القائدُ مفلح على الثائرين على الخلافة في الماهات<sup>5</sup> في مدّة شهر فيجلي أبعاد الصورة زماناً ومكاناً ونتيجة<sup>6</sup>: [من الطويل]

<sup>1</sup> نفسه، 404

<sup>2</sup> الحيوان، الجاحظ، ج 3- ص 252.

<sup>3</sup> الديوان ج2، ص 2159 - 2160

<sup>4</sup> نفسه، 404

<sup>5</sup> الماهات: جمع ماه وهي قصبه البلد تعني بها قصبات البصرة والكوفة(معجم البلدان : ماه ، ج 4 )

<sup>6</sup> الديوان، ص1005-1006



## كأْتها والحبْلُ في صُـدورها      أَجَادِلُ تنهَضُ في سيورهـا

أول ما يلفتنا في حديثه عن الخيل الحلائب وفرسانها هو العلاقة الضدية بينهما، فالخيل بيضاء وفارسها أسود شُبَّه بالغرَاب لشدة سواده، وإن تقابل قطبي التضاد (أسود- أبيض) ينجم عنه تكامل بين الطرفين كل منهما متمم لآخر متحد معه وإن " قيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين. فلن يكون له أي تأثير مالم يتداع في توالٍ لغوي. وبعبارة أخرى فإن عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية ؛ مثلها مثل بقية التقابلات المثمرة في اللغة"<sup>1</sup>

ولعلَّ أبرز ما في هذه القصيدة مقارنة البحترِي بين فنِّ التَّصوير والحركة في الشَّعر بروح الشَّاعر الفنَّان، ليشكِّل صورةً حسِّيَّة متألِّقة إذ تولِّف العناصر الحسِّيَّة قاعدة الانطلاق. ذلك لأنَّ الحسَّ أساس المعرفة<sup>2</sup> فيبدو الشَّاعر رسَّاماً ماهراً حين رسم صورته، وأطرها بالزَّمان والمكان ، ومنحها الحركة واللَّون، فكلاهما- أعني المصوِّر والشَّاعر يتخطَّى الألفاظ الظاهرية للواقعة إلى أطر نفسية إذ تثير مادَّة كل منهما صوراً في ذهن المتلقِّي و(( أنشطة فكرية كثيرة لأنَّ الأدب نتاج اللاوعي قبل أن يكون حصيلة الوعي والإدراك))<sup>3</sup>، ويصف البحترِي كيميَّة اجتماع الماء في بركة المتوكَّل؛ فيشَبَّه الماء في قوَّته واندفاعه ودخوله إلى البركة بالخيل وهي تركض، وقد أطلق لها صاحبها العنان، فتعدو راکضةً من دون أن يكبح جماحها أحد، وكأنَّه أراد أن يطلق العنان لنفسه، ويعيش حالة التمرد قال في وصف بركة المتوكَّل 4: [من البسيط]

تَنَحَّطُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةً      كَالْخَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا

وتظهر الحركة هنا في صورة الماء. فهو يتدفَّق كالخيل على عجل، من حيث التحرك والاضطراب. وقد عني البحترِي في صورته بإظهار عنصر الحركة في بعضها مقترناً بالألوان ليرسم صوراً يتلقاها القارئ وكأنَّه يتعايش معها على أرض الواقع من ذلك وصفه لموكب المتوكَّل إذ يقول<sup>5</sup>: [من الكامل]

فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ، وَالْفَوَارِسُ تَدَّعِي      وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ

أولع البحترِي بوصف الحركة والسرعة مع الصوت، وبرع فيه براعة متميزة. فهو يدير المعاني في هذا الباب بما يتفق مع كل ضرب من ضروبه ليشكِّل صورةً متكاملةً تمتلك حواسَّ المتلقِّي<sup>6</sup>، و يتلقاها وكأنَّه يتعايش معها على أرض الواقع.

<sup>1</sup> علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص 225.

<sup>2</sup> ينظر: الصُّورة الفنِّيَّة في شعر زهير بن أبي سلمى، د. عبد القادر الرَّبَّاعي، ط1. دار العلوم ، الرياض ، 1984، ص/ 153.

<sup>3</sup> في النقد الأدبي والتحليل النفسي، الدكتور خريستو نجم، دار الجبل، بيروت، ط1، 1991، ص29.

<sup>4</sup> الديوان: 2417.

<sup>5</sup> نفسه، 1072.

<sup>6</sup> ينظر: الصُّورة الفنِّيَّة في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، الدكتور وحيد صبحي كباية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.

ثم نراه يقابل صورة بصورة ، فجعل الخيل رمحاً منقضاً على ضحيته بسرعة البرق ، والفتية سيوفاً تُستل، يُعْمِي بريقها الأبصار ، ويرهب قرعها الأفتدة ، جمع الشاعر مابين الخيل والفتية الشجعان الذين تحدث عنهم بعامل الإقدام وتلبية النداء دون تردد إذا ما دعاهم داعٍ. قال: [من الكامل]

خيل كأمثال الرماح وفتيةً      مثل السيوف إذا دعين لمشرف<sup>1</sup>

إن اللغة لم تعد تظهر بوصفها وساطة بين العقول والأشياء، بل غدا لها عالم خاص بها، صارت نظاماً مكتفياً بذاته ذا علاقات داخلية تشير فيه كل وحدة إلى أخرى داخل عالمها الخاص ونظامها ، بفضل تفاعل التناقضات والاختلافات والفروق القائمة في النظام اللغوي<sup>2</sup>. ثم إن نظام العلائق داخل البناء اللغوي يربط كل مفردة بأخرى ، ويجعل هذه سبباً لتلك وكي نعي ذلك لتأمل قوله [من الكامل]

لو نَفَسَتْه الخيل لفتة ناظرٍ      ملأ البلادَ زلزالاً وفتوقا<sup>3</sup>  
لثى صدورَ السُّمرِ تكشفُ كُربةً      ولوى رؤوسَ الخيلِ تفرُّجُ ضيقا

، فالخيل لفتت الأنظار إليها، بم؟ بعدوها وحركتها المهيبة التي تكاد تخلق زلزالاً وتبث الرعب في النفوس، ويتحكم الفارس بجواده وبحركته يمنة ويسرة ، وهذا يحقق السيطرة على الفرس وعلى نتائج القتال؛ إذ يجعلها متأهبة متربصة لكل ما حولها مدافعة بكل طاقاتها كما يوجهها ممتطيها.

قال: [من الطويل]

وما الناس إلا سرب خيل فمنهمُ      على لون أسلافٍ قَدُمْنِ ومُبلِق<sup>4</sup>

ونراه في معرض حديثه عن الناس (أجناسهم، ألوانهم، طباعهم...) يستعين بالخيل لتقريب المعنى، فالخيل مختلفة في ألوانها وهياتها ، فمنها ضامر البطن، قصير القوائم أو طويلها، ومنها الأسود والأبيض والأبلق

ص 177.

<sup>1</sup> ديوان البحري، 1417 كامل

<sup>2</sup> ينظر: نظرية تأويل الخطاب وفانض المعنى، بول ريكور ، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006، ص 30.

<sup>3</sup> نفسه/1456

<sup>4</sup> ديوان البحري ، ص: 1497

والأكل، ونوع الشعر وألوان الحوافر تختلف من فرس لآخر، والطباع : هناك الفرس المطيعة، والتمردة، والمزاجية، ، والناس كذلك مختلفون ، وفي استعانته بالخيل لبيان اختلاف الناس دليل دامغ على عظيم مكانة الخيل في قلب الشاعر وأهميتها عنده.

ولهذا نجده يصف العلاقة بين الإنسان والخيل، فالخيل وفية لصاحبها ، محبه له، متعلقة به، والإنسان بدوره حانٍ عليها، يعتني بها، ويحزن إن ألمَّ بها مكروه، يتصل أحدهما بالآخر اتصالاً وثيقاً، وتترك الخيل في نفس صاحبها أثراً لا يُمحى كالأثر الذي تتركه حوافرها على التربة الندية، موقّعة بذلك على مرورها من هذا المكان. وفي ذلك يقول: [من الطويل]

فلم أر مثل الخيل أبقى على الثرى ولا مثلنا أحنى عليها وأشفقاً<sup>1</sup>

في حين أنه عندما يمدح ملكاً أو أميراً أو فارساً ويريد وصف شجاعته في أرض الوغى وبطشه بأعدائه ،دائماً ما يربط بين السيف المستل العامي لعيون أعدائه بوميضه ، وخيله التي تخلع القلوب بصهيلها وبسرعة انقضاضها على ساحات المعارك بحماس وقوة قلب وبشجاعة توازي صفات ممطيها الذي تقوده بسالته وخيله إلى نصر محتم.

ويصور ذلك قوله مادحاً الفتح بن خاقان [من الطويل]

أطلّ على الأعداء من كلّ وجهةٍ وشارفهم من كلّ غربٍ ومشرق<sup>2</sup> وخيلٍ  
ببيضٍ متى تُشهر على القوم يُغلبوا متى تركض إلى النصر تسبباً<sup>3</sup>

عندما يعاين الأعداء عن بعد سرعة الخيل وقوتها وشجاعته يرهبون منها قبل أن تصل؛ لأنه ارتبط في لا وعيهم أن صفات الخيل من صفات فارسها فهي تعكس صورته، فهما كيانان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وبالتالي العدو يرى هزيمته بألم عينيه عن بعد قبل أن يخوض القتال ويعبر عن ذلك بقوله 3: [من الخفيف]

يرقب الأعداء من روعاتها بَعَثَاتُ الخيل يحملن منها الشكك

وعندما مدح المتوكّل صوّر الخيل الغادية في الصباح الباكر حاملة الفرسان الشجعان في مشهد يبين عظيم قوة ومدوحه وهيبة جيشه وخيله، فكانت الخيل عنصراً مساهماً في تعزيز صورة الممدوح وقوته فالخيل

<sup>1</sup> الديوان: ص 1504.

<sup>2</sup> 1512

<sup>3</sup> 1565

الأصيلة القوية لا يمتلكها ويطوعها ويروضها إلا ذو حظ عظيم من القوة والسلطة ، فتضاف إلى هيبتها قوته وشجاعته، ويضاف إلى سطوته وقوته شرف امتلاكها وإطاعتها له ، فيقول [1]: من الكامل

بكرت جياذك والفوارس فوقها  
غزاً مُحجَّلةً تحاول وقعةً  
وأظنُّ أنك لا تردُّ وجوها  
بالمشرفيّة والوشيج الذّبل بالروم في يومٍ  
أغرّ محجّلي  
حتى تُنيخ على الخليج بكلكل

والبحتري يصور الخيل بشيء ضخم طويل عظيم، ويمعن في وصف الخيل كأنه يتحدث عن قطعة فنية تسلب الألباب بحسنها وروعته ، وكيف لا وهي صنع الباري الذي أبدع في كل شيء خلقه ، وجعل عباده يتأملون إعجازه وأسمى الآيات والنعم التي خصهم بها ؛ ليتفكروا في الخلق والكون وتفصيله فيقول<sup>2</sup>:

كالهيكل المبني إلا أنه  
كالحسن جاء كصورة في هيكل

فتراه في هذه الصورة "كهيكل مبني راسخ ثابت في شجاعته وقوته، وفي جماله كصورة جميلة في هيكل معروضة للناظرين، وهذا غاية البراعة في التصوير"<sup>3</sup>

إن "موقف الحرب يعجل الشاعر عن تصوير جواده ، ويشغله عن تبين تفصيلات جسده، فما يهمله منه آنئذٍ هو سلوكه به"<sup>4</sup> فصورة الخيل إذاً عندما تكون في إطار وصف الحرب والنصر لا يلتفت فيها الشاعر إلى بيان جمال ومحاسن وأوصاف خيله، إن كان ضامراً، أشقراً، مجذولاً، فيرزوجي الحافر... بل يركز على أدائه بالمعركة واندماجه بصاحبه، وتحركهما كجسد واحد بذات الانفعال ، وذات الحماس، وذات الرغبة وهي الانتصار.

وفي ذلك يقول: [من المنسرح]

لا بدّ للخيل أن تجول بنا  
فمرةً باللجين تنعلها  
حتى ترى الموت تحت رأيتنا  
والخيل أرماحنا التي تصل<sup>5</sup>  
ومرةً بالدماء تنتعل  
تُطقاً نيرائه وتشتعل

<sup>1</sup> 1626 - 1627

<sup>2</sup> الديوان: 1744

<sup>3</sup> التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، بسام إسماعيل عبد القادر صيام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017 م، ص 86.

<sup>4</sup> الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، علي البطل، دار الأندلس، دب، 2، 1981، ص 154.

<sup>5</sup> ديوان البحتري، 1916

وتأسيساً على ما سبق نجد أن صورة الخيل عند البحثري تختلف باختلاف السياق ومقام الكلام، فهو عندما يريد بيان حبه لها، وعنايته بها، يسبغ عليها أوصاف الجمال، ويمعن في بيان تفصيلاتها، أما عندما يتحدث عنها في معرض الحروب، فيركز على قوتها وسرعة عدوها وبسالتها وكرها وفرها...

### الاستنتاجات والتوصيات:

- 1- لقد نجح البحثري في عكس الواقع على صفحة الصورة الحسيّة من خلال تقنيّات الفنّ والجمال ، والتّوازن والتّسيق التي أبدعها بعد أن أخذ المشاهد المألوفة ومرّرها بخياله الفنّي فخرجت في ثياب جديدة من التّصوير الممتع.
- 2- ربط الشاعر بين الخيل وفارسها في معرض حديثه عن المعارك والحروب، وجعلها مندمجة به، وكانا \_ الخيل وفارسها \_ متشابهين في الصفات يتم أحدهما الآخر ويكمله.
- 3- الخيل هي السلاح الأقوى، والرفيق الأوفى، والعنصر الأساسي الذي يقود الجيوش إلى نصرها وقهر أعدائها بصهيلها الذي يبيث الرعب في نفوسهم، وضمور بطنها وسواد لونها وسرعة عدوها وهيبة إقدامها واقتحامها لأرض الوعى دون تهيب أو تردّد.
- 4- للخيل في شعر البحثري صورتان متناقضتان، فهي قوية سريعة، سببٌ للانتصار، وذلك عندما تكون مُلكاً لممدوحه، وهي على العكس تماماً عندما يتحدث عن خيل مهجّوه، وهنا ازدواجية في نظرته للخيل سببها موقفه إزاء ممدوحه أو مهجّوه.
- 5- تغيّب صفات الفرس، وذكر تفاصيلها، وشكلها، ولونها... في معرض حديثه عن الحروب وإسهامها فيها، وتظهر صفاتها في معرض فخره بامتلاكها، أو في معرض استهوائه؛ لبيان الخصال التي يحبها فيها.

## المصادر والمراجع:

1. إعجاز القرآن عبد القاهر الجرجاني.
2. التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، بسام إسماعيل عبد القادر صيام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017.
3. جدلية الأنا والآخر في شعر أبي الطيب المتنبي مغامرة في القراءة والتأويل، حسين الجداونه، طبعة الكترونية، الأردن، ط1، 2022م.
4. الحيوان.
5. ديوان البحترى: تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، لا تا.
6. ديوان البحترى، شرح: دكتور يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية - ط 2 - بيروت- لبنان- 2017.
7. الصورة الفنيّة في التراث النّقدّي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، دار التّوير للطّباعة والنّشر، بيروت، ط2، 1983.
8. الصّورة الفنّيّة في شعر الطّائنين بين الانفعال والحسّ، الدكتور وحيد صبحي كّبّابة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.
9. الصّورة الفنّيّة في شعر زهير بن أبي سلمى، د. عبد القادر الرّبّاعي. ط1. دار العلوم، الرّياض، 1984.
10. الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، علي البطل، دار الأندلس، دب، ط2، 1981م.
11. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.
12. في النقد الأدبي والتحليل النفسي، الدكتور خريستو نجم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
13. لسان العرب، ابن منظور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة. 1992.
14. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهاني.
15. معجم الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15 أيار، 2002 م.
16. معجم البلدان.
17. مقدّمة لدراسة الصّورة الفنّيّة، د. نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق- 1982.
18. نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006.

19. نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب التّويري ( ت 733 هـ) ، تح. د. مفيد قميحة ، ود. حسن نور الدّين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1 ، 2004 .

### الرسائل الجامعيّة

1. التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث الهجري، بسام إسماعيل عبد القادر صيام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، 2017 م.
2. الخصائص الفنيّة في شعر البحتري، تغريد موسى محمد علي. رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
3. اللون ودلالاته في شعر البحتري، نصرّة محمد محمود شحادة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 2013.